الى المعصية عدنا الى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة اخرى قال القفال وانما
حملنا هذه الاية على عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة الاعراف خبرا عن بني
اسرائيل واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب
ثم قال وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم
وكتمان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب
على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر
ما جرى من القتل والجلاء ثم الباقي منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم
ولا سلطان ثم قال تعالى وجعلنا اي بعد ذلك بعظمتنا جهنم اي
التي تلقى داخلها بالتجهم والكراهة للكافرين وذكر الوصف الظاهر
موضع الضمير لبيان تعلق الحكم به على سبيل الرسوخ سواء في ذلك هم وغيرهم
وقوله تعالى حصيرا يحتمل ان يكون فعيلا اي جعلناها موضعا محصورا
لهم والمعنى ان عذاب الدنيا وان كان شديدا قويا الا انه قد ينقلب بعض
الناس عنه والذي يقع في ذلك العذاب يتخلص منه اما بالموت واما بطريق
اخر واما عذاب الاخرة فانه يكون حاصرا للانسان محيطا به لا رجاء في الخلاص عنه
فهولاء الاقوام لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون لهم بعد ذلك من
عذاب الاخرة ما يكون محيطا بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه ابدا ولما بين
سبحانه وتعالى كتاب موسى عليه السلام الذي عليه فيما بين مصر وبيت
المقدس في تلك المدة المتطاولة وجعله هدى لبني اسرائيل صادق الوعد
والوعيد بين تعالى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه منه في
سبب مسيره اليه في ذلك ووصفه ثلاثة انواع من الصفات الاولى
قوله تعالى ان هذا القران اي الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس يهدي
للتي اي الى الطريق التي هي اقوم اي هي اصوب من كل طريق فقوله
تعالى للتي هي اقوم نعت لموصوف محذوف كما تقرر ويصح ان يقدر الملة
والشريعة اي يهدي الى الملة والشريعة التي هي اقوم الملل والشرايع
ومثل هذه الكناية كثيرة الاستعمال في القران كقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن
وقيل الى الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله تنبيه لفظ
افعل قد جا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي الله الكبير وكقولنا الاشج
والناقص اعدلا بني مروان فاقوم يحتمل ان يكون كذلك وان يبقى على اي الله اكبر كبيرا
ظاهره والصفة الثانية قوله تعالى ويبشر المومنين اي الراسخين
وهذا قدم بيانا لهم بقوله الذين اي يصدقون ايمانهم بانهم
يعملون اي على سبيل التجديد والاستمرار والبناء على العلم
الصالحات من التقوى والاحسان ان لهم اجرا كبيرا اهم الجنة
هو الجنة والنظر الى وجه الله تعالى وقرا حمزة والكسائي بفتح اليا

وسكون

وسكون الباء الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحدة
وكسر الشين مشددة فان قيل قال هنا اجرا كبيرا وفي الكهف اجرا حسنا
اجيب بوقوع ذلك لموافقة الفواصل قبل وبعد في كل منهما الصفة الثالثة
قوله تعالى وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا اي احضرنا وهيأنا
لهم عذابا اليما وهو النار في الاخرة وهو عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه
تعالى يبشر المومنين بنوعين من البشارة بثوابهم وبعقاب اعدائهم نظيره
قولك يسرك زيد انه سيعطي وبان عدوك سيمتنع فان قيل كيف يليق
لفظ البشارة بالعذاب اجيب بان هذا مذكور على سبيل التهكم
او انه من باب اطلاق احد الضدين على الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها او على تبشري باضمار يخبر فان قيل هذه الاية واردة في شرح احوال
اليهود وهم ما كانوا ينكرون الثواب والعقاب الجسمانية وبان بعضهم
قال لن تمسنا النار الا اياما معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين
ولما بين سبحانه وتعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وان الانسان قد
يقدم على ما لا فائدة فيه بينه تعالى بقوله تعالى ويدع الانسان بالشر
عند ضجره على نفسه واهله وماله دعاءه اي مثل دعائه بالخير ولو
استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك روي انه صلى الله
عليه وسلم دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يان في الليل فقالت
له ما لك فشكى وبكى فرحمته فارخت كتافه فهرب فلما اصبح النبي
صلى الله عليه وسلم دعى به فاعلم بشانه فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اقطع يدها فرفعت سودة يدها تتوقع ان يقطع الله يدها فندم
النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضبون
فمن دعوت عليه فاجعل دعائي عليه رحمة له وقيل المراد النضر بن الحارث
حيث قال اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الى اخره فاجاب الله دعاءه وضربت رقبته يوم بدر صبرا وكان بعضهم
يقول ايتنا بعذاب الله واخرون يقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين وانما فعلوا ذلك للجهل ولاعتقاد ان محمدا كاذبا فيما يقول
وقيل ان المراد ان الانسان قد يبالغ في الدعاء طالبا لشي قد يعتقد
ان خيره فيه مع ان ذلك الشي منبع لشره وضرره وهو يبالغ في طلبه
لجهله بحال ذلك الشي وانما يقدم على مثل هذا العمل لكونه عجولا
مغترا بظواهر الامور غير متفحص عن حقايقها واسرارها كما قال تعالى
وكان الانسان اي الجنس عجولا اي يسارع الى كل ما يخطر بباله
ولا ينظر الى عاقبته وقيل المراد ادم عليه السلام لما انتهى الروح الى
سرته ذهب لينهض فسقط تنبيه حذفت واو ويدع اي التي

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1